مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٨) العدد (٣)
الإصدار السابع والعشرون
٢٠٢٥ (١٢-١)

الأثر البلاغي للخبر في رسالة الأدب الصغير لابن المقفع

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

م.د. آلاء محمد كاطع

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ يوليو ٢٠٢٥م

الملخص

تناول هذا البحث الذي عنوانه (الأثر البلاغي للخبر في رسالة الادب الصغير لابن المقفع) خروج الخبر عن مقتضى الظاهر واكساب الخبر دلالات ومعانٍ مجازية بعيدة عن وظيفة الخبر الأصلية ، واثر ذلك في المعنى ، وكذلك درس البحث اضرب الخبر ابتدائي وطلبي وانكاري بحسب حالات ومقام المتلقين في رسالة ابن المقفع المسماة بالأدب الصغير ، وهذه الرسالة التي جاءت لغرض النصح والارشاد وتربية النفس تربية صالحة ، اذ حاول الكاتب اخضاع العقل للمنطق والابتعاد عن الهوى ، وكان الهدف من البحث هو ابراز جمالية الاثر البلاغي لخروج الخبر عن الحقيقة في الرسالة واثره في اقناع القارئ بأسلوب سلس ممتع بعيد عن الضجر والسآمة ، وعملية الاختيار الدقيق للألفاظ والعبارات بما يناسب المقام والسياق.

Abstract

This research, entitled "The Rhetorical Effect of News in Ibn al-Muqaffa's Epistle, Al-Adab al-Saghir," examines the deviation of news from its apparent meaning, the imposition of metaphorical connotations and meanings that are far removed from its original function, and the impact of this on its meaning.

The research also examines the types of news—initiative ,imperative, and negative—according to the circumstances and status of the recipients in Ibn al-Muqaffa's epistle, Al-Adab al-Saghir. This epistle was intended to offer advice, guidance, and proper self-education. The author attempted to subjugate reason to logic and avoid whims. The aim of the

research was to highlight the aesthetic rhetorical effect of news deviations from the truth in the epistle, and its effect on convincing the reader in a smooth and enjoyable style, free from boredom and boredom.

It also explores the careful selection of words and phrases to suit the situation and contex.

*** المقدمة**

الحمد لله المستغني عن الاستدلال عليه بما هو في وجوده مفتقر اليه، وافضل الصلاة والسلام على خير خلقه، واشرف بريّته محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

أمّا بعد ..

انكب الباحثون قديماً وحديثاً بعد كلام الله تعالى الى دراسة موروث العرب شعراً ونثراً ، فبدءوا بالغوص في بلاغة الكلام العربي واهتموا بالتركيب اللفظي ، وذهبوا الى أنّ الجملة في اللغة العربية لا تخرج عن قسمين اثنين ، الاول : الخبر ، الثاني : الانشاء ، ولكلٍ منهما حظه من التقسيم والتفريع والأثر البلاغي ، والنثر وخصوصاً الرسائل منه لا يخرج عن هذين القسمين ، ورسالة (الأدب الصغير) لابن المقفع الذي اجمع العلماء قديماً وحديثاً على بلاغته وانّه كان من البلاغة في الذروة وانّ بلاغته قائمة في مؤلفاته على كلامه الذي يجري مجرى الحكم والأمثال ، لذلك أثرتُ ان أبحث عن الأثر البلاغي للخبر في أحدى مؤلفاته وهي الادب الصغير وهي رسالة اجتماعية نفسية دينية ، يبلغ عدد صفحاتها ثلاثين صفحة ، إذ تنوعت موضوعات الرسالة بين الموضوعات الدينية كالتقوى والزهد تأديب النفس ومحاربة الهوى وبين ادب طلب العلم وتحدث عن الصفات التي يجب ان يتحلى بها الحاكم وكذلك المحكوم وادب طلب المال وغيرها من القضايا التي تهذب النفس.

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يُقسم على تمهيد ومبحثين وخاتمة ، تحدثت في التمهيد عن نشأة ابن المقفع والعوامل التي ساهمت في حكمته وثقافته وعلميته وسبب وفاته ، وتحدثت كذلك عن تعريف الخبر عند البلاغيين ، وذكرت الاغراض الحقيقية التي من اجلها يلقى الخبر ، اما المبحث الاول فكان بعنوان الاغراض المجازية التي خرج اليها الخبر في الادب الصغير ، وقد تنوعت هذه الاغراض بين انكار ، وذم ، مدح ، وفخر ، ونهي ، وتحذير ، وتحسر وتحزن ، وتحريك الهمة الى ما يلزم تحصيله وأثر هذه الاغراض في الخروج عن الحقيقة الى مقتضى الظاهر. أما المبحث الثاني فكان بعنوان: أضرب الخبر في رسالة الادب الصغير، وشمل ثلاثة انواع: ضرب ابتدائي وطلبي وإنكاري، واخيرًا خاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصل اليها البحث.

*** التمهيد**

أولاً: حياة الكاتب ووفاته

*** نشأته**

هو كاتب مشهور من كتاب العصر العباسي، ولد في مطلع القرن الثاني الهجري عام (١٠٦هـ) من ابويين فارسيين يسكنون في خوزستان (الاهواز حالياً)، واسمه ابو محمد عبدالله روزبه (ومعنى هذا الاسم بالفارسية المبارك) ووالده اسمه داذويه ويلقب بابن المقفع[١]. ويقال ان السبب في تسميته بهذا اللقب

ان والده (داذويه) كان يعمل ايام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ولاه على خراج فارس، فأخذ بعض المال فضربه حتى تقفّعت يداه، اي: تشنجت، فقيل له: المقفع[٢].

والمقفع فارسي الاصل نشأ في الاهواز، اما ابنه ابن المقفع فقد نشأ في البصرة في ولاء آل الأهتم من بني تميم وكانوا فصحاء العرب المشهورين بالخطابة والفصاحة والبلاغة.

وقد اهتم (داذويه) بتأديب ابنه (روزبه) وتعليمه منذ كان في بلاد فارس ، وتثقف بالثقافة الفارسية، كما عرف الكثير من آداب اليونان والهند ، ثم انتقل مع ابيه الى البصرة ، وكان من حسن حظه النزول في البصرة مركز الثقافة العربية ، حيث علماء اللغة والرواة ، فاخذ عنهم مبادئ اللغة ، واخذ كذلك من آل الأهتم[٣] ، وبهذا اتيح لابن المقفع ان يقوي لغته العربية ودراسة آدابها والتعمق في إدراك اسرارها ، حتى بلغ قدراً من التمكن ، انه حذق وجلي فيها ، وأوتي من نفاذ البصيرة ما جعله فذاً بين اقرانه ، فقال فيه ابن سلام الجمحي : سمعنا مشايخنا يقولون : لم يكن بعد الصحابة اذكى من الخليل بن احمد ولا أجمع ، ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ولا أجمع[٤].

ومدحه طه حسين بقوله: ((فهو زعيم كتاب الفرس والعرب))[٥]. وعمل ابن المقفع في ديوان الكتابة، فقد كان كاتبا للأمراء قبيل قيام الدولة العباسية، فكتب اول ما كتب في العهد الاموي لعمر بن هبيرة ثم لابنه يزيد، وكان ابن المقفع آنذاك شاباً في العشرين من عمره او يزيد، واستمر كاتباً الى وقت اعلان قيام الدولة العباسية، ثم بعد ذلك ايضاً اصبح كاتباً لأمراء الدولة العباسية فكتب بداية لـ (عيسى بن علي) عم السفاح ثم المنصور واستمر في عمل الكتابة.

*** ثقافته وحكمته**

جمع ابن المقفع بين ثقافتي العجم والعرب ، فقد كان يُتقن اللغة الفارسية اتقاناً فريداً لم يتوفر الا للقليلين من بني قومه وعليه فقد نقل كثير من الكتب من الفارسية الى العربية وعلى راسها كتاب (كليلة ودمنة) وغيرها من المؤلفات[٧] ، وحذق بالعربية وبرع فيها ، فقد كان العلماء القدامى يستشهدون بآرائه في البلاغة والفصاحة ، ومن ذلك قول الجاحظ : وقال اسحاق بن حسان : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط ، سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء[٨].

جمع ابن المقفع بين عقل الحكيم وتفكيره، وطبع الاديب وذوقه فليست حكمته عادية وليس ادبه من هواجس النفس ونزعات الهوى، فقد كانت حكمته روحانية غير مادية مبنية على الرحمة وحب الخير وبث الفضيلة ومساعدة الناس[٩].

وعرف ايضاً بالوفاء لأصحابه، فقد روي أنّ صديقه عبد الحميد الكاتب فرّ من الشرطة العباسية، واختبأ عنده، فلما علمت الشرطة بمكانه وجوده داهمت البيت فجأة، فقالت الشرطة، أيكما عبد الحميد، فأجاب ابن المقفع: أنا، خوفاً

على صديقه، ولكن عبد الحميد أبى أن يقتل صاحبه، فأبان عن حقيقة شخصه، فاعتقل ثم قتل[١٠].

*** وفاته**

اما سبب وفاته ، فقد مات مقتول وهو في عمر صغير، اذ بلغ عمره ستة وثلاثون عاماً ، فقد ذهب ضحية لخلاف بين عبدالله بن علي وعمه المنصور ، اذ خرج عبدالله بن علي الذي كان والٍ على الشام عن عمه المنصور ، وطلب الخلافة لنفسه فارسل المنصور جيشاً فانتصر عليه وهرب عبدالله الى البصرة فاختبأ عند اخيه سليمان الذي كان والٍ على البصرة ، فطلب المنصور منه فرضي إلا بأمان ، ورضي المنصور بذلك فطلب من ابن المقفع الذي كان كاتباً عنده ان يكتب الامان ويبالغ فيه خوفاً من غدر المنصور به ، حيث كتب ابن المقفع اماناً شديد اللهجة ، وهنا غضب المنصور وأوعز بقتله ، وهكذا كانت نهاية ابن المقفع سنة [١١].

ثانياً: مفهوم الخبر لغة واصطلاحاً واغراضه

*** الخبر لغة**

الخاء والباء والراء اصلان : الاول العلم ، ويدل الثاني على لين والرخاوة ، كما في قوله تعالى : < وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ> [فاطر : ١٤][١٢] فالخبر يدل على اصل اللغة النبأ ويجمع على اخبار[١٣] ، وهذا ما ذهب اليه ابن منظور بقوله : ((خبرتُ بالأمر ، اي عَلِمتُهُ ، وخَبَرتُ الأمرَ اخبرُهُ اذا عَرَفتُهُ على حقيقته ، وقوله تعالى : < فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً> ؛ اي اسال عنه خبيراً يَخبُرُ ، والخَبَرُ ، بالتحريك : واحدُ الاخبار ، والخَبرُ: ما اتاك من نبأ عمَّن تستخبرُ ، وقال ابن سيدة : الخبرُ النبأ، والجمعُ اخبارٌ ، وأخابير جمعُ الجمع))[١٤].

*** الخبر اصطلاحاً**

ذهب معظم علماء البلاغة إلى أنّ الخبر هو : كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته اي باعتباره كلام دون النظر الى قائله[١٥] ، وأيراد هذا القيد في التعريف وذلك لأنّه لو نظرنا عند الحكم على الخبر بالصدق او الكذب الى المخبر لوجدنا انّ من الاخبار ما هو مقطوع بصدقه ، اي لا يحتمل كذباً وما هو مقطوع بكذبه اي لا يحتمل صدقاً ، ومن الاخبار المقطوع بصدقها ولا تحتمل الكذب اخبار الله (تبارك وتعالى) ، اي كل ما يخبرنا الله به ، واخبار رسله ، وكذلك البديهيات ، المألوفة من مثل : السماء فوق الارض وغيرها ، ومن الاخبار المقطوع بكذبها ولا تحتمل الصدق ، الاخبار المناقضة للبديهيات ، نحو: الجزء اكبر من الكل وغيرها[١٦].

كذلك قيل بغض النظر عن قائله او لذاته، ويقال ايضا في تعريفه بأنه: ((ما يتحَّققُ مدلوله في الخارج بدون النطق به))[١٧]. نحو: الشمس طالعة، فقد اثبتنا الطلوع للشمس، وتلك الصفة ثابتةٌ سواء تلفظنا بالجملة أم لم نتلفظ، لانّها مطابقة للواقع الخارجي، فمعيار الصدق أو الكذب هو مطابقة الخبر للواقع الخارجي.

*** أغراض الخبر الاصلية**

ذكر علماء البلاغة انّ الأصل في الخبر أن يلقي على المخاطب لإفادة غرضين اصليين هما: –

١– إفادة المخاطب الحكم لذي تضمنته الجملة، اذا كان جاهلاً للخبر، ويسمى هذا النوع: فائدة الخبر ((كقولنا زيدٌ قائم)) لمن لا يعلم انّه قائم، ومن هذا الباب الحقائق العلمية التي تلقى على مسامع المتعلمين اول مرة وهم لا يعرفونها[١٨].

٢- وإمّا إفادة المخاطب انّ المتكلم عالم ايضاً بالخبر، وهذا الغرض لا يُقدم شيئاً جديداً للمتلقي، وانما يفيد ان المتكلم عالم بالحكم، ومن ذلك قولنا لصديق: زاركم زيد امس، فالمخاطب يعلم ذلك ولكن الغرض من هذه الجملة اخبار المستمع انّ المتحدث عارف بذلك، ومنه قول المتنبي مخاطباً سيف الدولة الحمداني: -

تدوس بك الخيلُ الدكور على الذرى وقد كثَّرتْ حول الوكور المطاعِم

وسيف الدولة يعلم ذلك[١٩].

١- الإنكار: وهو ((ان تُنكر على المخاطب، وتستهجن منه ما حدث، ليتنبه السامع حتى يرجع الى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعي الجواب))[٢٠].

ومما جاء فه الخبر مقصوداً به الانكار، قوله: ((فاذا كنت لا تعمل من الخير الا ما اشتهيت، ولا تترك من الشر الا ما كرهت، فقد اطلعت الشطان على عورتك وامكنته من ازمتك، فاوشك ان يقتحم عليك فيما تُحب من الخير فيُكرّهه اليك. وفيما تكرهه من الشر فيحببه اليك))[٢١].

فالغاية من ايراد الخبر هنا ليس لغرض فائدة الخير ولا لازم الفائدة وانما الغرض من النص الاخباري هو انكار افعال بعض البشر الذين يعملون من الخير ما يحبون ويتركون ما يكرهون ولا يرجعون الى ما يُحب الله ويأمر به، فان الشيطان هو المسيطر عليهم لانّه هو الذي يُزين لهم إعمالهم.

فالكاتب ابدع في هذا النص الاخباري في بيان ما سيؤول اليه هؤلاء الاشخاص المتصفون بهذه الصفات من الندم والحسرة في نهاية امرهم.

٢- الفخر: هو التمدح بالخصال والامجاد والاحساب والمناقب، والفعل: فَـنَحرَ، يفخرُ، بينما التفاخر هو التعاظم بذلك على الاخر ويدل اسلوب الفخر على الهدف منه، والوظيفة التي يريدها المتكلم، وقد يكون الغرض من التفاخر هو ادعاء العظم والشرف والكبر، فالمفتخر يتلذذ بإرسال الكلمات ويفتح عينه على كل ما فيه من محطات الزهو والاستعلاء[٢٢] ، وقد جاء هذا اليوم ، يقول عمرو بن كلثوم[*]:

اذا بلغ الفطام لنا وليدٌ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

ومن مجيء الخبر لغرض الفخر ما جاء في رسالة ابن المقفع، إذ قال: ((وقد وضعتُ في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً، فيها عونٌ على عمادة القلوب وصقالها، وتجلية ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير، ودليل على محمد الامور ومكارم الاخلاق))[٢٣].

فالكاتب في النص السابق وظف الجملة الخبرية من اجل الفخر بكتابه الذي وصفه بأنّه جمع من كلام الناس البلغاء حروفاً تُعين على عمارة القلوب وتصقلها، وكذلك تُجلي الابصار وتكشف الحقيقة للناس، وتُحيي التفكير وتجعله واعياً مدبراً مستدلاً على الاخلاق الفاضلة.

فإيراد الجملة الخبرية جاء لغاية الفخر وكذلك التشويق لقراءة الكتاب وليس الغرض من الخبر هنا المعنى الحقيقي وهو الفهم والأفهام فقط وانما جاء لمعنى التأثير والاقناع من اجل قراءة الكتاب والتمعن بكلماته ومعانيه.

٣- تحريك الهمة الى ما يلزم تحصيله: من الاغراض الت يخرج بها الخبر عن الحقيقة هو تحريك الهمة وذلك كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ومما جاء لهذا الغرض في الرسالة، قول ابن المقفع: ((وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب ان يُسمى في ذوي الالباب، ولا ان يوصف بصفاتهم، فمن رام ان يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف أهلاً فليأخذ له عتاده، وليعُدُّ له طول ايامه، وليؤثره على أهوائه، فإنه قد رام أمراً جسيماً لا يصلح على غفلة، ولا يدرك بالمعجزة ولا يصير على الاثرة وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك منها المتوني ما يفوت المقابر، ويصيب منها العاجز منها يخطئ الحازم))[٢٤].

فالغاية من النص الاخباري الذي أورده الكاتب هو تحريك الهمة الى ما يلزم تحصيله، وذلك من خلال ذكر الصفات التي يجب ان يتحلى بها صاحب العقل، ومن الصفات التي ذكرها ان يغلب عقله على هواه وان لا يكون غافلاً وعاجزاً، وان يكون حازماً، ومثابراً لكي يكون من ذوي الالباب، اي اصحاب العقول الكبيرة.

فخروج الخبر عن مقتضى الظاهر حقق وظيفة تأثيرية إقناعية، لدى المتلقي وبعث في نفسه الرغبة والهمة من اجل السعي والجد في عمل الأمور المحمودة.

٤- اظهار التحسر والتحزن: ويكون هذا الغرض حين قصد المتكلم إظهار الحسرة والحزن والندم على امراً ما، ومما جاء بهذا المعنى في الادب الصغير، قول ابن المقفع: ((خمسةٌ مُفرِّطون في خمسة أشياء مُندَّمون عليها: الواهن المفرط اذا فاته العمل، والمنقطع من اخوانه وصديقه اذا نابته النوائب، والمستمكن منه عدده لسوء رأيه اذا تذكر عجزه، والمفارق الزوجة الصالحة اذا ابتلي بالطالحة، والجريء على الذنوب اذا حضر الموت))[٢٥].

ابن المقفع في هذا النص الاخباري يتحسر على خمسة من البشر الذي سوف يندمون وستحسرون بما فعلوا، وهم: أولهم الضعيف المفرط في عمله اذا فاته العمل، والثاني: الشخص الذي يقطع رحمه ويجافي اخوانه واصدقائه اذا اصابته المصائب، والثالث الشخص الذي يفارق زوجته الصالحة اذا ابتلي بالزوجة الطالحة فسوف يندم والرابع: الجريء على الذنوب اذا حضره الموت ولا وقت للتوبة فانه سوف يندم والاخير: الشخص الذي يغلب هواه وسوء رايه عليه فسوف يندم عندما يعجز.

وايضاً من شواهد الخبر الواردة لهذا الغرض قوله: ((الناس الا قليلاً ممن عصم الله مدخولون في امورهم: فقائلهم باغٍ، وسامعهم عياب، وسائلهم معتنت، ومُحبهُم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف، والامين منهم غير متحفظ من اتيان الخيانة، وذو الصدق غير محترس من حديث الكذبة، وذو الدين غير متورع من تفريط الفجرة))[٢٦].

يتحسر الكاتب في النص الاخباري السابق على ما اصبح عليه الناس من الاخلاق غير سوية، فيرى ان اكثر الناس، قائلهم باغٍ، والذي يسمع يعيب ذلك، والواعظ متناقض بين اقوله وافعاله، والذي يقال عنه امين في الظاهر هو خائن في الخفاء، وذو الصدق يكذب.

٥- التحذير: هو ((تنبيه المخاطب على امر مكروه، ليجتنبه))[٢٧].

ومن النصوص الخبرية التي وظفت لهذا المعنى قول الكاتب: ((راس الذنوب الكذب وهو يؤسسها وهو يتفقدها ويثبتها، وليكون ثلاثة الوان بالأمنية والجحود والجدل: يبدأ صاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من السوآت، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى، فاذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة، فإن اعياه ذلك ختم بالجدل، فخاصم عن الباطل، ووضع له الحجج، والتمس به التثبيت، وكابر الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة، ومكابراً بالفواحش))[٢٨].

فقد حذر الكاتب على طريقة الأسلوب الخبري من الكذب فهو رأس الذنوب واساسها ويتلون ثلاثة الوان وهي تبدأ بالأمنية ثم الجحود ثم الجدل فالأمنية الكاذبة تزين له السوآت وهي جمع مساءة وسوء اي: المعايب النقائض فيشجع ثم بعد ذلك يأتي دور الجحود والمكابرة فاذا اتعبه تحول الى الجدل الضال.

٦- النهي: هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء مع الألزام وله صيغة واحدة وهي لا النافية وبعدها الفعل المضارع[٢٩]: هذا النهي الحقيقي ، أما النهي المجازي او البلاغي وهو الذي يفقد احد الشرطين او كلاهما (الاستعلاء ، الالزام) وقد يأتي الخبر يحمل معنى النهي ، وقد ورد كثيراً في الرسالة منها قوله: ((لا يستخف ذو العقل بأحد ، واحق من لم يستخف به ثلاثة : الاتقياء ، والولاة ، والاخوان ، فانه من استخف بالأتقياء اهلك دينه ، ومن استخف بالولاة اهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان افسد مروءته))[٣٠].

فالكاتب هنا ينهى صاحب العقل ان يستخف باي احد كان وذلك طريق توظيف الجملة الخبرية، ومن اكثر الاصناف الذين نهى الكاتب ذو العقل الحكيم بان لا يستخف بهم هم: الاتقياء المؤمنون، فمن استخف بهم اهلك دينه واخرته.

والصنف الثاني: الولاة، فان الاستخفاف بهم يؤدي الى افساد المروءة والاخلاق.

في النص الاخباري السابق نلحظ جمالية توظيف الخبر بمعنى النهي، فلو جيء بالنهي بصورة مباشرة لما حقق هذا التأثير والإقناع الذي حققه مجيء الجملة الخبرية التي خرجت إلى غرض النهي.

ومن مجيء النهي بصيغه الخبر قول الكاتب: ((العجبُ آفة العقل واللجاجة قُعود الهوى، والبخلُ لقاحُ الحرص، والمراء فساد اللسان والحمية سببُ الجهل، والانف توأم السفه، والمنافسة أخت العداوة))[٣١].

فالكاتب هنا لا ينه بصورة مباشرة على طريقة الإنشاء الطلبي وذلك بأن يورد صيغة النهي وهي لا الناهية والفعل المضارع المجزوم وإنما عمد إلى استخدام الأسلوب الخبري الذي خرج إلى معنى النهي ، ابن المقفع هنا ينهى عن بعض الصفات الذميمة ، وهي العجب الذي يراه آفة العقل ، وينهى عن اللجاجة وهي : التمادي في الخصومة ، وكذلك نهى عن البُخل وعن المراء وهو الجدال والمخاصمة فهو فساد للسان ، وكذلك الحمية، وهي العصبية القبلية فهي سبب الجهل، وكذلك الانف ، وهي كبر النفس ، ونهى عن المنافسة والحسد فإنهما سبب العداوة والبغضاء.

٧- المدح: ومن مجيء الخبر لعرض المدح قوله: ((إن أولى الناس بفضل السرور وكرم العيش، وحُسّن الثّناء من لا يبرح رحله من إخوانه واصدقائه من الصالحين موطوءاً، ولايزال عنده منهم زحامٌ يسرهم ويسرونه، يكون من وراء حاجاتهم وأمورهم به فإن الكريم إذا عثر لم يستقلل إلا بالكرام، كالفيل إذا ذا وَحِل لم تستخرجه إلا الفيلة لا يرى العاقل معروفاً صنعة، وإن كثر كثيراً، ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف لم ير ذلك عيباً، بل يعلم أنه إنما أخطر الفاني بالباقي، واشترى العظيم بالصغير))[٣٢].

فالغاية من توظيف النص الإخباري في الرسالة هو المدح، إذ مدح الكاتب فئة من الناس يتصفون بالصفات الحميدة منها أن يكون الشخص كريمًا لا يخلو رحله من إخوانه وأصدقائه الصالحين، وكذلك يقضي حاجاتهم وأمورهم، فهذا الشخص حتى وإن عثر فإنه لا يعثر إلا بالكرام الذين ينقذونه مما هو فيه، ثم يبدع الكاتب بتشبيهه بالفيل الذين إن عثر فإنه لا يخرجه إلا الفيلة من جنسه، كذلك الكريم، فالكرام أصحابه لا يتركونه، فهو شخص لا يستعظم أفعاله الصالحة وإن كثرت لأنه استبدل الفاني بالباقي واشترى العظيم بالصغير.

٨- الذم: وهو ضد المدح، وهو قول أو فعل ينبئ عن حال الغير وانحطاط شأنه[٣٣].

ومما جاء فيه الخبر مقصودًا به الذم قول الكاتب: ((وجدنا البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى أهلها الحرص والشره، فلايزال صاحب الدنيا يتقلب في بليةٍ وتعب؛ لأنه لايزاله بخلة الحرص والشره)).

فالكاتب هنا يذم أهل الحرص والطمع على الدنيا وزينتها، فهؤلاء يتقلبون من بلية وتعب إلى بلية أخرى وذلك لشدة حرصهم وشرههم وبخلهم على الدنيا ومفاتنها.

*** أضرب الخبر**

من المعلوم أن وظيفة علم المعاني هي مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب، أي أن المتكلم لابد أن يختار الكلام الذي يوافق حال المتلقي فمقامات المخاطب مختلفة، فمقام خالي الذهن غير مقام الشاك أو المتردد في الخبر، وعليه لابد أن يختار الصياغة الكلامية التي توافقه لكي يحرز هدفه وهو التأثير بالمتلقي وبالتالي إقناعه بالإطروحة التي يحاول إيصالها وإثباتها، أنّ ((من أصول علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب، فلا يجوز أن يخاطب العامي بما ينبغي أن يخاطب به الأديب))[٣٤]، ومن أجل ذلك تنبه ابن المقفع لهذا الأمر، فقد اختار في رسائله ما يوافق حال المتلقي، وبناءً على ذلك جاء الخبر على ثلاثة أنواع كما قسمه البلاغيون إلى: -

١- الخبر الابتدائي: من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان هو أن يفرغ المتكلم قالب الإفادة ما ينطق تحاشيًا عن الحشو واللغو في الكلام، فإذا اندفع في الكلام مخبرًا، لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته للمخاطب، متعاطيًا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتًا أو انتفاءً[٣٥] وفي هذه الحالة يلقى الخبر بدون مؤكدات.

ومن أمثلة هذا الضرب في رسالته قوله: ((لا أشدُّ الفاقة عدم العقل، وأشد الوحدة وحدة اللجوج، ولا مال أفضل من العقل ولا أنس آنس من الاستشارة))[٣٦].

فالخبر هنا خالي من المؤكدات وذلك لأن المخاطب المعني غير متردد أو شاك أو منكر لهذا الخبر، فإن من الأمور المتفق عليها عند العقلاء إن أشد الحاجة هي عدم وجود العقل المفكر الذي يرشد الإنسان إلى الطريق الصحيح، وإن من أشد الناس وحدة هم اللجوجون، أي المعاندون والملحون، فإن الناس تنفر من طباعهم، وأخبر أيضًا عن أنه لا مال أفضل من العقل ولا أنس أفضل من استشارة الانسان لأخيه الانسان الحكيم. ومن الضرب الابتدائي أيضًا، قوله: ((والعقل . بإذن الله . هو الذي يُحرز الحظ ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة ويعرف النكرة، ويثمر المكسبة، ويطيب الثمرة، ويوجه المشوقة عند السلطان ويستنزل للسلطان نصحه السوقة، ويكسب الصديق، وينفي العدو))[٣٧].

ابن المقفع أورد في هذا النص الإخباري الخبر ابتدائيًا خاليًا من المؤكدات باعتبار أن متلقيه غير منكرين ولا مترددين ولا شاكين في ما يقوله، إذ أكد على أهمية العقل من هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الانسان في غربته، وينفي الفقر، ويعرف الانسان النكرة، فبالعلم يعرف الانسان ويكسب محبته، ويكسب الأصدقاء.

٢- الخبر الطلبي: وهو أن يكون المخاطب مترددًا في الخبر، طالبًا الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحالة يستحسن توكيد الكلام ليتمكن من نفس المتلقي، ويطرح الخلاف والتردد وراء ظهره، ويسمى هذا النوع من الخبر طلبيًا، ويتضمن وسيلة تأكيد واحدة، كقوله تعالى: < إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ> [النحل: ٩٠]، فقد أكد الخبر بمؤكد واحد وهو الأداة (إنّ)، مؤذنًا، لأن المخاطب يشك بصحة الخبر، لذلك ألقي إليه الخبر مؤكد بـ (إنّ)[٣٨].

ومثال هذا النوع في الرسالة قوله: ((قد انتزعت الدنيا ممن قد استمكن منها، واعتكفت له، فأصبحت الأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وأخذ متاعهم ممن لم يحمدهم، وخرجوا إلى من لا يعذرهم. فأصبحنا خلفًا من بعدهم نتوقع مثل الذي نزل بهم، فنحن إذا تدبرنا أمورهم أحقاء أن ننتظر ما نغبطهم به فنتبعه وما نخاف عليهم منه فنجتنبه))[٣٩].

أورد ابن المقفع خبره طلبيًا مؤكدًا بالأداة (قد) التي ذلك في سياق حديثة عن الذين يغترون بالحياة الدنيا ويظنون أنهم مخلدون ثم بعد ذلك يتوفاهم الله سبحانه وتعالى ويورثون ما جمعوا إلى أولادهم الذين لا يحمدونهم، وهذا حال الدنيا خلق بعد خلق.

فالمتكلم هنا يحتاج إلى استعمال إحدى المؤكدات اللفظية التي تؤكد خبره وتعززه وتقويه، لذلك وظّف حرف التحقيق (قد) الذي أزال التردد والشك عند المخاطب.

ومن الخبر الطلبي كذلك ما ورد في قوله: ((إنّ للسلطان المقسط حقًا لا يصلح . لخاصة ولا عامة . أمرٌ إلا بإرادة فذو اللب حقيق ان يُخلص لهم النصيحة، ويبذل لهم الطاعة، ويكتم سرهم، ويزين سيرتهم، ويذبَّ لسانه ويده عنهم، ويتوخى مرضاتهم، ويكون من أمره المواتاة لهم، والإيثار لأهوائهم ورأيهم على هواه))[٤٠].

فالكاتب هنا وظّف أداة التوكيد (إنّ) في بداية خبره، وإنّ من أقوى المؤكدات التي تؤكد الكلام، ومجيئها في بداية الخبر، أزال الشك والتوهم لدى المتلقي الذي كان مترددًا، فقد ذكر الكاتب الصفات التي يجب أن يتحلى بها السلطان العادل في صيغة خبر، إذ ذكر أن السلطان العاقل المقسط هو الذي يخلص النصيحة لرعيته، ويبذل لهم الطاعة، ويكتم سرهم ويحفظ سيرتهم، ويحاول إرضائهم، و يأخذ برأي الرعية على رأيه وهواه.

٣- الخبر الإنكاري: وهو ((الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارًا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد))[٤١].

ويعتمد توظيف المؤكدات على حسب إنكار المتلقي قوةً وضعفًا، والمقام الذي قيل فيه، وقد كثر مجيء هذا النوع من الخبر في الرسالة، ومن ذلك قوله: ((إن طالب الفضل بغير بصيرة تائه حيران، ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانه محروم، وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإبانة لها، والتنكيل بها. أما المحاسبة، فيحاسبها، لما لها؛ فانه لا مال له الا أيامها المعدودة التي ما ذهب منها))[٤٢].

نلحظ في النص الإخباري السابق أنّ الكاتب وظف أكثر من مؤكد لتوكيد خبره، إذ جاء المؤكد (إنّ) في بداية الكلام، ثم جيء بمؤكد آخر و(أمّا) الشرطية وهي حرف يفيد الشرط والتوكيد والتفصيل، ثم كرر حرف التوكيد إنّ في قوله (فإنه)، فهذا النص الإخباري وجههُ الكاتب إلى مخاطبين منكرين لما يقوله في هذا السياق، فهو يؤكد إنّ طالب الفضل بغير البصر والتبصر لا يكون إلا تائه وحيران، ومبصر الفضل بغير العزم لا يكون إلا محرومًا، وعلى العاقل أن يراقب نفسه ويحاسبها؛ لأن الحياة الدنيا قصيرة ما هي الا أيام معدودات.

ومن الضرب الإنكاري أيضاً، النص الإخباري الذي جاء فيه: ((وأماً الخصومة، فإنّ من طباع النفس الأمارة بالسوء أن تدعي المعاذير فيما مضى والأماني فيما يفي، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها. وأمّا القضاء؛ فإنّه يحكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأنّها فاضحةٌ مردية موبقة، والحسنة بأنها زائدة منجية مربحة، وأما الإبانة والتنكيل فإنه يسرُّ نفسه))[٤٣].

فقد جاء الخبر مؤكد بمؤكدات عديدة، هي: أما الشرطية التي تكررت ثلاث مرات، وإنّ المؤكدة التي تكررت أيضًا ثلاث مرات، وإنّ بفتح الهمزة التي تكررت مرتين وتكرار هذه المؤكدات في الخبر يدل على أن المقام والسياق مقام إنكار ورفض، لذلك أكد الكاتب خبره بهذه المؤكدات، فهو يصر ويثبت أن الخصومة هي من طباع النفس الامارة بالسوء التي تبحث عن الأعذار لخصوماتها، فكأن الرسالة موجهة إلى اشخاص ينكرون ذلك.

*** الخاتمة**

بعد هذه المسيرة الأدبية البيانية القصيرة في رسالة الأدب الصغير لابن المقفع والولوج في غياهب البلاغة والفصاحة والبيان، خرجنا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث: -

١- ساهمت عوامل عديدة في تكوين ثروة لغوية أدبية لدى ابن المقفع منها نشأته في بلاد فارس والأخذ من علمائها، ثم انتقاله إلى البصرة والالتقاء بعلمائها وأدبائها ومجالستهم

وخصوصًا ولاؤه لـ آل الأهتم الذين كانوا معروفين بالفصاحة والبلاغة، وكذلك اتصاله بأمراء الدولتين الأموية والعباسية، وترجمة الكثير من الكتب إلى العربية.

٢- يدعو ابن المقفع في رسالته الأدب الصغير إلى الفضيلة وحسن الخلق، فهدفه واضح ومحدد وهو الوعظ والنصح والالتزام بالأخلاق الرفيعة، وكذلك إحياء الفكر وإقامة الحجة وتقديس العمل.

٣- كان يعلي من قيمة العقل ويمجده ويغلبه على الهوى، وغالبًا ما يبدأ حديثه بقوله: (على العاقل)، فكلامه موجهة إلى العقلاء الذين يضعون العقل في المقام الأول، ويرى أن الفقير المعوز هو من افتقد العقل.

٤- معظم الأخبار الواردة في الأدب الصغير هي أخبار مجازية خرجت عن معناها الحقيقي، وهو فائدة الخبر ولازم الفائدة.

٥- خرج الخبر في الرسالة إلى معانٍ بلاغية كثيرة منها: التحذير والفخر والإنكار والنهي والتحسر والتحزن، وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله والذم.

٦- تنوعت ضروب الخبر في البحث بين الابتدائي والطلبي والإنكاري حسب مقام وأحوال المتلقين، ولكن يلاحظ أن النوع الإنكاري هو أكثر الضروب ورودًا في الرسالة، وربما يعود ذلك إلى أن الكلام موجه لمتلقين منكرين للأخبار الواردة.

٧- أكثر المؤكدات التي وظفها ابن المقفع في الرسالة لتوكيد الخبر هي أما الشرطية وإنّ المؤكدة.

٨- الاختيار الدقيق للألفاظ، فكل لفظة في الرسالة أُختيرت بعناية وموافقة لمعناها وللسياق الذي وردت فيه، والابتعاد عن الألفاظ غير الفصيحة، أي الألفاظ الغريبة الوحشية.

*** المراجع**

القرآن الكريم

ابن المقفع (أديب العقل)، الدكتور فكتور الكك، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦ . ١٩٨٦.

ابن المقفع، خليل مروم بك، مكتبة عرفة، دمشق، د.ط.

أدباء العرب في الأعصر العباسية، (حياتهم . آثارهم . نقد آثارهم)، بطرس البستاني، دار مارون عبود، بيروت . لبنان، ١٩٧٩م.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ط ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة . لبنان، ط٣ ، ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة، د.ط، د.ت.

جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق، ٢٠٠٥م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الفكر، ط١، ١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي . القاهرة، ط٣، ١٩٨٤.

ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي . بيروت، ط١، ١٩٩١م.

رسائل البلغاء، محمد كرد علي، مؤسسة هنداوي . مصر، ط١، ٢٠١٧م.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ط ١٤٣٣هـ . ٢٠٠٣م.

علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم ود. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس . لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

الفهرست، ابن النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

في البلاغة العربية (علم المعاني)، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية . مصر، ط١، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م.

كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، د.ط، د.ت.

لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد هاشم، دار المعارف، د.ط، د.ت.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م.

المغني، ابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب . الرياض، ط١، ١٩٨٦م.

مفتاح العلوم، السكاكي (ت٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف . مصر، د.ط، د.ت.

الوزراء والكتاب، الجهشياري، قدم له: د. حسن الزين ، دار الفكر الحديث، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر . بيروت، ط ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.